الثورة والأدلجة

د. أيمن محمد هاروش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن التعرف على هويّة الثورة السورية حاجة ضرورية لفهم طبيعة الصراع فيها، وتحديد التوجه الصحيح لمكوّناتها، حتى لا تنحرف البوصلة عن مسارها أو تضيعَ أهدافها، بل ربما قد تتحول إلى عثرة في طريقها وتنقلب إلى عدو لها.

وفي هذا الدراسة نحاول بيان هوية الثورة السورية، والمشاريع الفكرية التي دخلت عليها وكانت مُعيقة لمسارها في بعضِها، وعدوّة له ببعضها الآخر.

***

تعاريف :

إذا عرّفنا الثورة بأنها حراك يهدف إلى تغيير الواقع نحو الأفضل، وقد يقوم بها نخبة من المجتمع، أوشريحة من شرائحه فتنسب الثورة لها عندما يكون السبب والأثر متعلقا بهذه الشريحة. وقد يقوم بها الشعب بأكمله بكل شرائحه وألوانه، فتسمى ثورة شعبية، وعليه يمكن أن نعرف الثورة الشعبية: بأنها حراك جماهيري شعبي لتغيير ظروف الواقع التي تعيشها الجماهير. وبما أن هذه الظروف هي أثر للسلطة الحاكمة، فالثورة الشعبية تكون متوجهة لإسقاط وتغيير نظام الحكم أو شخص الحاكم الذي تسبب في هذه الظروف.

والإيديولوجيا: هي مجموعة الأفكار والمعتقدات الخاصة بمجتمع ما أو جماعة ما، وتعتبر إيديولوجيا الجماعة أو الفرد أو الشعب هي الهوية المعرفة لهم، وهي التي تحدد مسارات حراكهم وترسم ملامح طريقهم.

هوية الثورة :

وبناء على هذه التعاريف نتساءل، هل الثورة السورية ثورة نخبة أم شعب؟ وما هي هوية هذه الثورة؟

وليكون الجواب دقيقاً لا بد من قراءة شاملة للثورة في مرحلتها الأولى تحديدا لأنها المرحلة التي انطلقت فيها وعبرت فيها عن هويتها، قبل أن تدخل إليها المشاريع الأخرى وتدّعي احتكارها للثورة، ويمكن تحديدها بالسنة الأولى للثورة تقريباً.

ففي قراءة شاملة ومُنصفة لهذه المرحلة يمكن توصيف الثورة فيها بأنها شعبية ضد الظلم والاستبداد ممثلاً بالنظام.

أما شعبيتها فلأن معظم شرائح المجتمع قد انخرطت فيها، فبعد أن كانت البداية من أطفال درعا في آذار 2011، سارعت الجماهير للمشاركة بالاحتجاج ضد سياسة النظام فيها و إجرامه، لم تلبث المحافظات الأخرى بعدها أن شاركت بالاحتجاج ضد سياسة النظام في القتل، يدفعها الظلم والقتل الذي مُورس على أهل درعا، وانتشرت صوره بكثرة على وسائل الإعلام العربية، مستعيدة بذاكرتها مجازر الثمانينيات وما قبلها، و التي قام بها النظام نفسه بحق الشعب.

وكان الحراك يشهده المثقف والعامي والكبير والصغير والرجل والمرأة والمسلم وغير المسلم في بعض المناطق، وشهدت الثورة تعاطفاً من بعض الطوائف التي تُحسب على النظام كالطائفة الإسماعيلية في مدينة السلمية التي خرجت بمظاهرات ضد النظام.

ومن هنا نجد أن الثورة شعبية بامتياز، وليست ثورة حزب ولا جماعة ولا طائفة.

قراءة الشعارات :

الشعارات هي التي تحدد لنا إيديولوجية الثورة وهويتها، وإذا استقرأنا شعارات الثورة نجد أن الشعارات الأبرز في الثورة السورية (الشعب يريد إسقاط النظام – واحد واحد واحد الشعب السوري واحد – سوريا بدها حرية – سوريا حرة حرة والأسد يطلع برا – الله سوريا حرة وبس) ونحوهذه الشعارات التي تبين أنها ثورة ضد الظلم والاستبداد المتمثل في النظام الذي سعت الثورة لإسقاطه، ولا تحمل أي بعد إيديولوجي .

وكون الثورة خرجت من المساجد ورفعت في بعض شعاراتها (قائدنا للأبد سيدنا محمد) فهي لا تعني أنها ثورة تحمل مشروعا معيناً، وإنما انعكاس لهوية وثقافة وتاريخ هذا الشعب التي حاول النظام طمسها وحاربها.

فسوريا على مرّ التاريخ شعب كله مسلم ثقافة، وجله مسلم ديناً، ومصطلح الدين الثقافي معروف بأنه يشير إلى من لا يعتنق هذا الدين ولكنه يمارس سلوكياته ويشارك أهله بعض شعائرهم العامة، فيذكرُ التاريخ أن المرأة المسيحية في دمشق كانت تخرج لابسة عباءتها، وأن الدين الإسلامي وتاريخه كان محلّ احترام وتقدير لغير المسلمين، وعليه فالسوريون كلهم مسلمون ثقافة، وقد خفت هذه الثقافة وحاربها النظام حتى ضعف ظهورها في الآونة الأخيرة، ولكنها لم تُمحَ، وما زلت أذكر اجتماعاً ضم شخصيات مهتمة في الثورة في بداية السنة الثانية لها وتكلموا عن صياغة مشروع ثوري لها فقال أحد الأعضاء وهو مسيحي يجب التركيز على عروبة وإسلام الدولة لأنه هوية سوريا.

وقد يكون المسلمون السنة أكثر من تجرع مرارة ظلم واستبداد النظام لكنهم ليسوا الوحيدين فقد اكتوى بناره الأكراد باختلاف دياناتهم، وسقي مرارة ظلمه الكثيرون من غير المسلمين كالمسيحية وبعض النصيرية والإسماعيلية، وكذلك الأمر في الثورة، فقد يكون أهل السنة جل من شارك فيها لكن هناك من انخرط معهم من المسيحيين والإسماعيليين ومن القومية الكردية باختلاف مشاربها.

ومن هنا نقول إن طبيعة وهوية الثورة السورية هي ثورة شعبية جماهيرية تهدف إلى إسقاط الظلم والاستبداد والفساد المتمثل في النظام الحاكم، تصطبغ بالثقافة العربية الإسلامية.

***

المشاريع الإيديولوجية الدخيلة على الثورة :

وبعد السنة الأولى من الثورة بدأت المشاريع المؤدلجة تدخل على الثورة لتصبغها بلون أدلجتها، وتفرض أحيانا هذا اللون عليها، بحيث تنزع صفة الثورية ممن لا يحمل هذا اللون وربما تصفه بالخيانة ونحوها.

ونجد بالاستقراء ثلاثة مشاريع ستذكرها هذه الدراسة مبينة أثرها على الثورة السورية.

وبداية لا بد من التنبيه إلى أن الخطأ الجامع لكل هذه المشاريع هو تجاوزها مرحلة الثورة على النظام إلى مرحلة ما بعد النظام، فرسم كل مشروع لنفسه شكل الدولة المستقبلة وحدد أعداءه وشركاءه فيها، وبدأ أعماله الثورية بناء على هذه الصورة، فكان منه أن خسر شركاء حقيقيين له في الثورة وحولهم لأعداء بناء على وهم عداوتهم له في مرحلة ما بعد النظام، وكانت النتيجة أن تحول هذا الأمر إلى خدمة للنظام وعثرة كبيرة في طريق نجاح الثورة.

***

أولاً: المشروع الإسلامي :

ونقصد به المشروع الذي يهدف لإقامة دولة إسلامية بعد سقوط النظام، وشكل هذه الدولة مختلف باختلاف التيارات ضمن هذا المشروع.

وأول ظهور لهذا المشروع بعد خروج المعتقلين السياسيين الإسلاميين من سجن صيدنايا، وجلهم من حملة الفكر السلفي الجهادي كما يسميه البعض وبعضهم ينتسب للقاعدة فكرا وتنظيما أو فكرا فقط.

وبدأ هؤلاء بتشكيل الجماعات الإسلامية المجاهدة وكان خروجهم متزامنا مع بداية تحول الثورة من السلمية إلى المسلحة، فتشكلت كتائب أحرار الشام والطليعة والفجر الإسلامية، وكانت تحمل إيديولوجيا واضحة تمايز نفسها عن باقي المكونات الثورية وتطرح أفكارا خاصة بها لا عهد للثورة بها من قبل، كقضية علم الثورة وإشكالياته، والموقف من البرلمانات و الديمقراطية والأقليات في سوريا، والموقف من الجيش الحر الذي كان حديث عهد بالنشوء وليس له أي فكر أو أدلجة تميزه، وإنما حمل الفكر الشعبي العام دون أن يتطرق في منظومته المعرفية إلى محددات مرحلة ما بعد سقوط النظام.

وهي كلها قضايا خارجة عن ميدان الثورة في صراعها للنظام، وتتجاوزه كما قلت سابقاً إلى ما بعد سقوط النظام.

ثم دخل تنظيم القاعدة من العراق وكانت أكثر بعدا عن هوية الثورة في أطروحاتها، فاتخذت مساراً عقدياً في توجيه حراكها و عملياتها العسكرية، فجددت إعلان الحرب على أمريكا، وقوى الكفر العالمي، وتداولَت وسائل الإعلام كثيراً من الأشرطة المنسوبة لقادة هذا التنظيم يصرحون فيه بأن قبر أمريكا سيكون في سوريا، وتوجهت بعض فروع هذا التنظيم إلى رفع شعارات تمس جوهر القضية الإسلامية القديمة الحديثة، (تحرير الأقصى)، ونقلت وسائل الإعلام كذلك تصريحات لقادة في هذه الجماعات تعبر عن نيتهم الوصول إلى روما؛ وهذه القضايا لم تكن في قائمة أهداف الثورة التي كانت محلية وسعت لإسقاط النظام الذي مارس القتل ضد شعبه.

أدى دخول التنظيم إلى ظهور انقسام واضح في مكونات الثورة من حيث التصنيف إلى فريقين، إسلامي وغير إسلامي، وكان هذا الانقسام بداية افتراق أودى لاحقاً إلى محرقة الثورة كما سمتها الحاضنة الثورية في أدبياتها فيما بعد.

بعض هذه التيارات بعد فترة من الزمن ونتيجة لمراجعات مر بها كما سماها أو لاصطدامه بصخرة الواقع، عاد لاحقاً إلى ميدان الثورة، واصطلح إلى حد كبير – وإن كان دون المأمول – مع مكونات الثورة فرفع شعار مشروع أمة، وحدد معالم حراكه بإسقاط الظلم وإقامة دولة العدل، وأنه مشروع سوري فقط، كما فعلت أحرار الشام قبل مقتل قادتها.

بالوقت الذي ازدادت بعض مكونات المشروع الإسلامي بعدا عن الثورة وتطرفا حتى وصلت إلى إعلان الدولة وتحديد الإمام وقتال الناس على بيعته كما فعلت داعش، بل ازداد التطرف لإعلان الخلافة وفتح الحرب مع مكونات الأمة كلها وليس مكونات الثورة السورية.

وبقي البعض على المسار الأول متردداً بين الانحياز نحو اليمين حتى شابه خطى داعش في كثير من التصرفات كجبهة النصرة ثم فتح الشام، وبين الانحياز نحو اليسار حتى كاد يقترب من مشروع الأمة الذي أطلقته الأحرار، كهيئة التحرير مؤخراً على مستوى خطابات وأطروحات البعض وليس على مستوى السلوك والفعل.

وبالمقابل كانت هناك جماعات تحسب على الإسلاميين وهي قريبة جدا من مشروع الثورة حيث لم تحمل أدبياتها ما حمله من سبق ذكرهم من التمايز الفكري والسلوكي عن هوية الثورة كجيش الإسلام وفيلق الشام، وإن كانت تحتاج لقرب أكثر من هويتها وعلى الأقل في قضية علم الثورة.

ومن خلال هذا البيان يتضحُ أن المشروع الإسلامي ليس له لون واحد ومكوناته ليست في الدرجة نفسها من هوية الثورة.

بل بينهما تفاوت كبير جدا فبعضها كان عثرة في طريق الثورة، بل مغناطيسا جذب أعداءها إليها، وبعضها كان متناغما، بل معبراً عن روح هويتها الإسلامية التي سبق بيانها، ولذلك فإنه من الخطأ أن يُوضع الإسلاميون في الثورة في سلة واحدة من حيث الدراسة والنقد.

ثانياً: المشروع الانفصالي:

بدأ هذا المشروع في الظهور مع انطلاق الجماعات الكردية الانفصالية التي سعت وتسعى إلى تحقيق كردستان سوريا، واستطاعت تشكيل حكم ذاتي لها في منطقة عفرين والقامشلي، وحاولت تكرار التجربة في كل من عين العرب وجرابلس.

ولا شك أن مشروع هذه الفصائل الانفصالية لا يعبر عن الأكراد الذين شاركوا في الثورة السورية بمظاهرات شعبية عارمة في كوباني وغيرها، وقتل النظام بعضهم، ليجعلهم رموزاً وطنية من حيث لم يشعر، مثل مشعل تمو. وقد تشكلت من الأكراد جبهة ثورية تتمسك بالجسد السوري كالجبهة الكردية الإسلامية، وبذلك و وفقاً لهذه الحقائق يتضح بأن الأكراد قد ذهبوا كذلك ضحية للمشاريع التي دخلت الثورة وامتطتها وحرفت بوصلتها دون أن تكون لعموم الشرائح الكردية إرادة بذلك.

وكما أن التيارات الإسلامية ليست واحدة فكذلك التيارات الكردية ليست واحدة، فهناك الأمريكي الصّرف الذي يمارس الإرهاب الحقيقي مثل pyd، وهناك الروسي كقوات سوريا الديمقراطية وهناك الانفصالي القديم مثل pkk .

ثالثا: المشروع العلماني

ظهر هذا المشروع مع ظهور شخصيات معارضة تسعى لإقامة دولة علمانية في سوريا كهيئة التنسيق الوطنية والمنبر الديمقراطي.

غير أن المشاريع العلمانية لم تعرف طريقها للعسكرة وإنما نشطت بالجانب السياسي فقط – ولذلك لا يعتبر خطرها على الثورة ذا بال، لأن ميدان الصراع معها إن حصل بعد الثورة وفي مرحلة بناء الدولة وليس في مرحلة إسقاط النظام. ويمكن تفاديه وتنحيته إذا أحسنت الفصائل الثورية قراءة المرحلة وقيادة سفينة الثورة في سنواتها السابقة واللاحقة، لم تظهر في الثورة السورية فصائل تصرح بأنها تقاتل لإقامة دولة علمانية، بل ربما تم التصريح من البعض بأنه يسعى لإقامة دولة ديمقراطية وهذا مصطلح واسع مطاطي، لا يحمل تفسيراً واحداً كما يسوق له بعض الإسلاميين.

وقد صرح الكثيرون بأنه يقاتل لإسقاط النظام فقط، ولا يحمل رؤية لمشروع بعده، وهذه نقطة استغلها الإسلاميون فقد حاول بعضهم أن يجعل من كل من لم يصرح بنيته إقامة دولة إسلامية بأنه داعٍ للعلمانية والديمقراطية على تفسيرهم، فأعلنوا الحرب عليه، وهذه تعد أبرز الكوارث والأسباب التي أدت إلى تشتيت الثورة وتدمير بنيتها، وتوسيع الهوة بين الحاضنة والفصائل الثورية، مما أضرّ بالحلفاء وأحرجهم جداً، وأبرزهم تركيا وقطر.

****

أثر الأدلجة على الثورة :

لقد كان لهذه المشاريع المؤدلجة آثار سلبية على مشروع الثورة وصلت بعض الآثار إلى أن تكون معادية للثورة ومدمرة لها ومساعدة للنظام عليها، وأهم هذه الآثار :

1- إضعاف شعبية الثورة:

لقد تحولت الثورة بعد دخول الأدلجات إلى ثورة نخب وجماعات ولم تعد ثورة شعبية، لأن أهداف وبرامج هذه الأدلجات تختلف عن أهداف الثورة، فبعض الأدلجات تريد إقامة دولة إسلامية، وبعضها تريد تحرير القدس وأخرى تريد حكما انفصالياً، وبعض التيارات السياسية تريد دولة علمانية، والثورة في مراحلها الأولى، والثوريون من أبناء الأرض على امتداد مراحلها كانت أهدافهم واضحة من حراكهم وشعبيته، وتجلى ذلك بدقة ووضوح في شعاراتهم خلال التظاهرات : (الشعب يريد إسقاط النظام – الله سوريا حرية و بس).

والشعب الذي ثار وتظاهر وسقط منه الشهداء لم يعد له صوت ورأي، بل تحولت بعض الجماعات إلى ممارسة الوصاية عليه لتفرض عليه فكراً معيناً وتؤدي دور الوصي على دينه وقيمه وأخلاقه.

2- تأمين ذرائع للمجتمع الدولي لحرب الثورة:

لا يجهل أحد تخوف المجتمع الدولي من الربيع العربي عامة والثورة السورية خاصة، ولكنه وأمام الثورات الشعبية إن لم يتظاهر بدعمها، فهو بالتأكيد لن يملك أسباب محاربتها؛ لأنه وإن كانت سياسته قائمة على المصالح، وهي متحققة في العالم الإسلامي مع الأنظمة المستبدة، لكنه لا يستطيع أن يُعادي القيم المرجعية له والتي أقيم على أساسها ومنها احترام حرية الشعوب وحقها في تقرير مصيرها، ولا ينكر أحد أن الثورة السورية في عامها الأول أحرجت المجتمع الدولي إحراجا شديداً، واكتسحت الموقف العالمي سياسياً وحاول النظام جاهدا نزع صفة الشعبية عن الثورة، ليقدمها على أنها ثورة جماعات لا تعبر عن رأي الشعب، وهذا ما تحقق له بعد دخول الأدلجة، بل صار مُسلَّما به بعد غياب صورة وصوت الشعب، وتصدُّرِ أشد الجماعات أدلجة وتطرفاً للمشهد حتى دخلت بعض الدول في حرب الثورة وضَح النهار وتحت قوانين المجتمع الدولي وشرعيته، (وهذا يبرز وضوح الخدمة الجليلة التي قدمتها الأدلجة للنظام والضرر الكبير الذي ألحقته بالثورة).

3- خسارة شريحة شعبية مؤيدة للثورة :

من تابع حراك الثورة منذ انطلاقتها يدرك ما تم ذكره سابقاً من انخراط شرائح من غير أهل السنة والعرب في الثورة الشعبية، وهي حقيقة لا يمكن مكابرتها، إضافةً إلى من كان يؤيد مطالبها من طائفة النظام دون أن يشارك، ولكن عندما رأى هؤلاء أنفسهم لاحقاً خارج الخط الثوري، وأنهم يسيرون إلى مشروع لا يعبر عن فكرهم، وربما كانوا مستهدفين فيه، فقد تراجعوا عن خط الثورة.

وهذا التراجع سرى لاحقاً إلى الحياديين منهم، مما جعل البعض ينخرطُ في صفوف (التشبيح) والمشاركة الفعلية مع النظام في قمع الثورة.

وخسارةُ هذه الشريحة من الثورة إن لم يكن فيها ضرر للثورة ونفعٌ للنظام بشكل مباشر، فهي بالتأكيد قد نزعت من الثورة لونها الشعبي العام، وسهلت على النظام إيجاد أدلة بحث عنها طويلاً بوصف الحراك الذي يجري في سوريا بأنه تمرد لنخبة محددة وليس حراكاً شعبياً ضدّ سياساته.

4- إطالة عمر النظام :

وهي نتيجة للآثار السابقة، فعندما وجدت بعض الدول سبباً مقنعاً تدخلت إلى جانب النظام وهي (روسيا وأمريكا) أما إيران وتنظيم (حزب الله) فهو جزء لا يتجزأ من النظام مُستهدفٌ من قبل الثورة، حيث شارك في بدايات تحول الثورة إلى استخدام السلاح في معارك ضد قوى الثورة وأبرزها القصير و يبرود.

5– فقد الحاضنة :

إن طول المعاناة وتسلط بعض الفصائل المؤدلجة على الشعب وممارسة الوصاية عليه، وفرضِ مشروعها على الناس قبل نجاح مشروع الثورة، جعل الحاضنة الشعبية للثورة تنفر من الثورة، وقد تعمقت هذه الفجوة بعد رؤية الحاضنة الشعبية أن شدة الهجمة العسكرية على الثورة يحدث بسبب دخول الأدلجات على الثورة.

إضافةً إلى هجوم بعض الفصائل المؤدلجة على الفصائل التي تحمل هوية الثورة وتسعى لإسقاط النظام، مما جعل شريحة كبيرة من الحاضنة تعبر عن كرهها الشديد للثورة ولليوم الذي خرجت فيه.

إن المكابرة عن هذه الحقيقة ورفضها تجاهل واضحٌ لصوت الشعب وآلامه، وللتأكد من ذلك فإنه يكفي لمن يريد التأكد أن يتحرر من مظهره الثوري ويظهر بصورة المواطن الشعبي متجولاً بالمناطق الشعبية التي لا تعرف ثوريته، ويجري الأحاديث مع فئات الشعب المختلفة حول الثورة، وسيلاحظ المخزون الهائل من الاحتقان والشحن ضد الخط الثوري العام.

1 –الاقتتال الداخلي :

وهو أسوأ وأخطر أثر لدخول الأدلجة على الثورة، فعندما كان المشروع الثوري المسلح واحداً، وهو إسقاط النظام، كانت وتيرة عمليات التحرير سريعة، حتى مع بدايات ظهور الأدلجة التي كانت أطروحاتها تؤجل مشروعها إلى ما بعد المشروع الثوري فإن الأمور كانت ضمن المقبول، ووصلت خارطة التحرير لتشمل أكثر من 80% من سوريا، ولم يعد يحتفظ النظام من معاقله إلا بأجزاء من العاصمة و أجزاء من الساحل و السويداء، وأجزاء قليلة من حلب.

ولكن عندما أسفرت بعض الأيدلوجيات عن مشروعها الحقيقي الذي يتعارض مع مكونات الثورة وبدأت في تحويل بندقيتها إلى هذه المكونات بذرائع لا تنطلي إلا على الغر الجاهل، تراجعت خارطة التحرير واستعاد النظام عافيته، ووجهت الثورة جل طاقتها لهذا الاقتتال الذي أسفر عن خسارة جغرافية ثورية كبيرة سيطرت عليها داعش، وأهدرت الثورة مجهوداً ثورياً كبيراً للتصدي لمشروعها.

ولم تتوقف عجلة الاقتتال الداخلي بانحياز داعش في جغرافية خاصة بها، بل تابعت جبهة النصرة المصنفة دولياً على أنها تنظيم إرهابي، مسلسل الاقتتال الداخلي فأفرزت أثراً سيئاً على الثورة سبق أن أفرزته داعش من قبلها، و لم يتغير المسمى بتغيير الاسم، بل حافظت على نفس منهجيتها السابقة.

ولا ينكر مراقب تقلص تقدم الثورة بهذا الاقتتال الحاصل والخسارة الكبيرة التي نجمت عنه، من تفكيك فصائل القاعدة لفصائل تحمل هوية الثوري تحت مسمى الجيش الحر، والسيطرة على مستودعات سلاحه، الأمر الذي انعكس نفسياً بصورة سلبية على المقاتلين الثوريين، مما دفع العديد منهم لإلقاء سلاحه واعتزال الثورة، وبعضهم سافر إلى تركيا، والثورة لا تزال إلى تاريخ اليوم على صفيح الاقتتال الداخلي الساخن بسبب الأدلجات.

وعلى الجانب الآخر كان ظهور الأدلجة الانفصالية الكردية بمثابة إعلان جبهة جديدة معادية للثورة، فدخلت مع فصائلها في اقتتال وحرب ما تزال قائمة إلى الآن، وكل هذه الجهود الذي تصرفها الثورة في التصدي لعدوان الأدلجات أضعفَت من قوتها، وساعدت النظام بشكل لا يقل عن مساعدة الميليشيات التي جاءت للقتال معه.

***

ما هو الحل؟

إن استخلاص الحل سهل من خلال فهم العرض السابق، وما زالت الساحة غنية بالمكونات التي يمكن أن تحقق الحل، ولكنها أعواد مبعثرة هنا وهناك، ولو قُدِّر لها أن تجتمع لشكلت سفينة لنجاة الثورة تصل بها إلى بر الأمان وتنقذها من أمواج الأدلجة المُهلكة، ولأزالت هذه العثرات من طريقها، ولوجدت الشعب حولها مُلتفاً، ولمشروعها حاضناً ولكانت الشمس التي تذيب كرة الجليد للأدلجة، وخطوات الحل هي كالتالي:

1- تشكيل كيان ثوري واحد يجتمع فيه العسكريون والسياسيون والمفكرون والشخصيات الشرعية، ويتبادلون الأدوار وفق خطة مدروسة تطبق المشروع الثوري المتفق عليه.
2- تبني مشروع ثوري يمثل هوية الثورة الحقيقة، يهدف إلى إسقاط نظام الظلم والاستبداد وبناء سوريا دولة العدل والحرية والعلم والقانون، والحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية لسوريا.
3- بناء شبكة علاقات قوية مع دول الجوار خاصة وباقي الدول قائمة على الاحترام المتبادل وتحقيق المصالح المشروعة للثورة بما يعزز وجودها ويظهر سيادتها واستقلالها.

4- الالتفاف حول الحاضنة الشعبية والذوبان فيها بحيث تكون آلامها وآمالها ظاهرة وواضحة في أدبيات وسلوكيات هذا الكيان، والحذر من أي سياسة تفصل الكيان عن حاضنته الشعبية.

**

مخاوف محتملة :

قد يرى البعض أن الدعوة لحمل مشروع الثورة و هويته ممثلة بإسقاط الظلم والاستبداد والفساد ممثلاً بالنظام، أنها دعوة لتضافر الجهود في مرحلة الهدم، وتتغافلُ عن مرحلة البناء التي قد يختلف فيها الهادمون، وربما يقتتلون، وربما تكون دعوة لممارسة التقية في مرحلة الهدم، والرد على هذا المنظور يكون بالتالي:

1- هب أن الأمر كذلك وأن الهادمين مختلفون في مشاريعهم وقد يتحول بعضها إلى مستبد وظالم جديد، أفلا يكون من العقل والحكمة أن تنشغل مكونات الثورة بمحاربة الظلم والخطر المحقق واليقين عن الخطر المظنون الموهوم؟

أوليس انشغال مكونات الثورة بأوهام بعضها وظنونها هو إضعاف لشكوتها ومساندة غير مباشرة للنظام؟ ومؤداه أن تفني بعضها بعضا ويبقى النظام؟!

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا الثورة على النظام من الأصل ؟ كان يسع السكوت وتوفير هذه الدماء والخراب وتبقى على بعض العافية التي كانت فيها، ومن ادعى بأنه قادر على تحقيق مشروعه ومحاربة النظام ومن يقف أمام مشروعه في الوقت ذاته، فزعمه غير منطقي، ورؤيته خاطئة، ولا ينظر بجدية لظروف الواقع ومعطياته وقيوده، وقوانين الربح والخسارة، والقوة والضعف.

2- إن الاقتتال والاصطدام الذي سيحصل بعد سقوط النظام لن يحدث إلا عند من يصر على حمل مشروع لا يراعي سنن الله الكونية والشرعية في التحرك، ويرى في نفسه صخرة تتحطم عليها قوى العالم أجمع، وفي عقيدته ضماناً لنصر لم تأمر الشريعة بتحقيقه بهذه الصورة، بل ونهته عنه.

إن هذه السياسة من هؤلاء تعتبر منغولية فكرية سيئة، أما من فهم السنن الكونية والشرعية، وراعى الأبعاد الإقليمية والدولية، والتوازنات والعلاقات الدولية، ودرس طبيعة مجتمع وشعبه وثقافته، فبإمكانه أن يصيغ مشروعاً يستنقذ مجتمعه من الفساد والجهل والمرض والفقر والظلم، وهذا هو خماسي تدمير الأمم وتفكيك المجتمعات.

والعمل على إزالتها يعد من أهم مقاصد الشريعة، ويحقق الكثير من مسائل الأحكام التي يسمح بها الظرف متدرجاً من الممكن نحو المأمول.

إن العقلانية تفرض على العاقل – بغض النظر عن مشروعه- في صراع القوى والمشاريع، أن يسعى ليثبت وجوده وحياته وتحقيق ما يتيحه الممكن من مشروعه، وأما من أراد تحقيق مشروعه كله بلبه وقشره، واضعاً الأخدود قبلة له، فيشكر على تضحيته وموته في سبيل مشروعه، لكن لا يستحق أن يتصدر الأمة ولا يعد ممثلاً لها، بل ولا يستحق أن يتصدر ويقود جماعة، لأن القائد يفترض أن يسعى لحياة جماعته لا لموتها، وللتمكين لها بالممكن والمتاح، لا هلاكها بمنطق الأخاديد والموت حرقاً فيها.

خاتمة:

على مر التاريخ كانت الثورات الشعبية هي من تحصد النجاحات، وثورات النخب قل ما نجحت، ولقد أثبتت الثورة السورية بطولات كبيرة وحققت نجاحات مفاجئة عندما كانت شعبية البنية، ثورية الهوية، ولم تنحرف عن بوصلتها أو يلحق بها الضرر إلا عندما دخلتها الإيديولوجيات المخالفة للثورة بل والمعارضة لها أحياناً.

***

توصيات:

مازال في عمر الثورة بقية، وما يزال الأمل كبيراً بنجاحها ووصولها لهدفها، ولكن لا بد لبلوغ ذلك، من التخلص من آثار السياسيات السلبية التي مرت بها الثورة وأهمها الأدلجة، والعمل على قدر المسؤولية والحاجة التي تناسب الظرف الزماني للثورة.

ولعل ما يحقق ما تقدم ذكره هو حل الفصائل العسكرية نفسها كلها، لأنها صارت عبئاً ثقيلاً على الثورة ومنذ فترة ليست بالقليلة، وتشكيل مجلس أو كيان ثوري يمثل حكومة موازية ومقابلة لحكومة النظام، تقوم بتسيير المناطق المحررة ومتابعة قتال النظام، وببناء علاقات خارجية، بخطة وسياسة ومنهجية تحافظ على مبادئ الثورة وهويتها وتراعي سنن الله الكونية والشرعية وتأخذ بالأسباب لبناء سوريا الحديثة، سوريا الحرية والعدالة.

د. أيمن محمد هاروش